سعادة السفير لقمان الفيلي

مجلس الأطلسي

واشنطن

٢١ تموز ٢٠١٤

شكراً بيري على حفاوة الترحيب. أتقدم بشكري للمجلس الأطلسي على العمل الكبير الذي يقوم به، كما اتقدم بالشكر لجميع الذين حضروا هذا اليوم لمناقشة التهديد الذي تشكله داعش علينا جميعاً.

قبل ان استرسل في الحديث أكثر، اود ان اشكر الشعب الأمريكي على التضحيات العظيمة التي قدمها لمساعدة الشعب العراقي في التحرر من طغيان صدام حسين والمضي قدما في طريق الديمقراطية.

لطالما كان طريقنا الى الديمقراطية صعباً، ولكننا كنّا دوماً صامدين. يمر الشعب العراقي الان بمرحلة صعبة ونقطة تحول خطرة ونحن نواجه اليوم ارهاباً عابراً للحدود. لا استطيع ان اقلل من فداحة الوضع الحالي. اذ يواجه العراق اليوم خطرا يهدد وجوده، لم تشهد المنطقة له مثيلا من قبل.

اننا ممتنون لوقوف الولايات المتحدة مع الشعب العراقي خلال ايام الحرب المظلمة، ونأمل بان تقف اليوم معنا ونحن نقارع نفس قوى العنف والتطرف التي تعاظم طموحها اليوم الى درجات تتعدى الشرق الأوسط الى العالم باسره.

في الوقت الذي نلتقي فيه هذا الصباح، يتعرض الشعب العراقي الى هجوم مباشر من قبل تحالف جهاديو القاعدة والموالين لصدام على عكس ما يعتقد البعض منكم، ان مايجري ليس "ثورة للسنّة" ضد "حكومة الشيعة". هذا تمرد شامل يقوده متطرفي داعش الذين نذروا أنفسهم لإقامة ملاذات امنة لتأوي الإرهاب في قلب منطقة الشرق الأوسط، لتمتد من شواطئ البحر المتوسط في سوريا الى محافظة ديالى في العراق.

الامر الواضح ومن دون شك: هو ان داعش تستهدف الجميع دون استثناء، مسلمين كانوا ام مسيحيين، ائمة للسنّة ام شيعة معتدلين يرفضون مبايعة تعصبهم وتخلفهم.

مع ظهور "الخليفة" الذي نصب نفسه على العراق وسوريا، فقد أعلنت داعش بان هدفها هو محاربة الناس في كل مكان، في المنطقة وفي العالم.

لا يمكن مواجهة الازمة الراهنة الّا باتباع استراتيجية شاملة تتضمن القيام بعمل عسكري وجهود سياسية واقتصادية وإنسانية ودبلوماسية من قبل جميع الأطراف المتأثرين بالأزمة.

داعش، هي العدو المشترك للشعب العراقي وللدول المجاورة له وللولايات المتحدة وحلفاءها، ويجب علينا ان نوحد الجهود لدحرها. هذه التطورات خطيرة وجديدة في الشرق الأوسط، وتتطلب إيجاد سبل جديدة لمكافحة الإرهاب.

من الناحية العسكرية، ومع قوة داعش التدميرية العشوائية، فإنها تزرع بنفسها بذور هزيمتها. برغم هذا وحتى ذلك الحين، سيستمر التطهير العرقي والتدمير المنظم لحضارةٍ فريدة من نوعها حتى يصل الى نقطة لا يمكن الرجوع منها.

باستيلاء داعش على الموصل، فقد دمرت مساجد الشيعة واضرحة السنّة واحتلت كنائس المسيح. فقد أصدرت داعش قبل اقل من أسبوع من اليوم انذاراً لكل المسيحيين، تامرهم فيه باختيار اما الدخول في الإسلام او دفع الجزية، ومن يخرج عن ذلك فانه يواجه "حد السيف".

وبالإضافة الى الاقليّة المسيحية في العراق، فقد تم اجبار الالاف من الأقليات الأخرى على ترك منازلهم وممتلكاتهم. وأشار التقرير الأخير لمنظمة حقوق الانسان الى ان داعش قد قامت بقتل وتعذيب التركمان واليزيديين والشيعة من الشبك والمسيحيين من الكلدان والاشوريين، وعاملتهم كما يعامل الصليبيين او الزنادقة او عبدة الشيطان.

على الرغم من حدوث نكسات كبيرة على الجبهة العسكرية، فقد استعادت القوات الأمنية العراقية معنوياتها بفضل فتوى الجهاد التي اصدرها اية الله العظمى السيد علي السيستاني، الذي حث فيها من كل يتمكن من حمل السلاح على الانضمام الى القوات الأمنية العراقية دفاعاً عن الوطن. وقد استجاب لها ألالاف من العراقيين، صغاراً وكباراً، سنّة وشيعة، وانضموا للقتال ضد داعش، ولم يحدث ان أصدر أحد المراجع الدينية مثل هذه الفتوى منذ أوائل عشرينات القرن الماضي.

فمن النادر ان يتحدث السيد السيستاني عن مواضيع تتعلق بالحكومة، ولكنه حين يفعل ذلك فهو يمثل وحدة وطنية تعزز من الديمقراطية وسيادة القانون.

كما دعا السيد السيستاني الوحدة بين السنّة والشيعة بعد حادثة الاعتداء على ضريح الامام العسكري في سامراء عام ٢٠٠٦.

وفي ظل هذه الأوقات الحرجة، يعمل السيد السيستاني اليوم مع زعماء الدين الاخرين لتخفيف من حدة التوتر الطائفي وتقوية الاواصر بين السنّة والشيعة والعرب والاكراد والتركمان. هذه هي حقا الأوقات التي ينبغي ان يتذكر فيها العراقيون بان أعدائهم ليسوا من يتعبدون بطريقة مختلفة، بل ان اعدائهم هم من يهاجموننا جميعاً.

ولان داعش تستهدف جميع العراقيين ومعتقداتهم وثقافتهم ووجودهم شيعة كانوا او سنة او اكراد او من أي مكون اخر من مكونات شعبنا، فإننا نسعى الى توحيد جميع العراقيين ضد هؤلاء المتطرفين المتعصبين.

وحتى في أوقات الازمة، فان العملية الديمقراطية لاتواكب الخطر الذي يشكله الطغاة او الإرهابيين، ولكن في نهاية المطاف، توفر الحكومة التمثيلية وسيادة القانون أفضل الفرص لضمان ان للجميع صوت يسمع وان لا يشعر أحد بالتهميش.

ولا تزال عملية تشكيل الحكومة، التي اعقبت انتخابات نيسان الحرة والتي شارك فيها أكثر من ٦٠% من الناخبين، مستمرة بالتقدم الى الامام ضمن الإطار الدستوري وينبغي ان لا يتم تقويضها.

فقد كان انتخاب رئيس البرلمان ونائبيه حدثاً ذي أهمية بالغة واظهر بان قادة العراق السياسيين قادرون على ترك الخلافات وراءهم سعياً لوحدة البلاد خلال الأوقات الحرجة.

ويتوقع ان يقوم مجلس النوّاب العراقي يوم الأربعاء، الموافق ٢٣ تموز، بانتخاب الرئيس الجديد، والذي سيكون على الارجح من القومية الكردية.

وهناك احتمال كبير ان يتم تشكيل حكومة جديدة ضمن الفترة التي ينص عليها الدستور. فقط لأذكّركم، فقد استغرقت هذه العملية في السابق من ٦ الى ٩ أشهر: هذه المرة نحن نتكلم عن فترة ٦ أسابيع فقط.

لم يتسبب العنف بخلق ازمة امنية وحسب، بل أدى الى خلق أزمات سياسية وإنسانية ايضاً.

وبينما تعلو امجاد داعش بالقتل والفوضى، يحاول العراقيون التخفيف من معاناة اولئك الذين وجدوا أنفسهم في خط المواجهة مع الارهابيين ولم يكن لهم ذنب في ذلك.

فقد اجبر ما يقرب من ٦٥٠ الف شخص، منذ بداية الازمة الشهر الماضي، على النزوح وترك منازلهم في الموصل. اذ ويقدر عدد النازحين في انحاء شتى من العراق بـ ١.٢ مليون عراقي.

من الناحية الاقتصادية، يدرك المتطرفون تماماً ما يفعلون، فقد استخدموا العنف لتخريب واحد من أسرع الاقتصادات نموا في العالم، ويدرك الارهابيون أيضا بان توفر الفرص الاقتصادية سيمنع عنهم الدعم، وان البطالة وفقدان الامل، خصوصاً بين أوساط الشباب، يوفر لهم خزينا كبيرا من المجندين المحتملين، وفي حال ان نجحت داعش في توسيع ساحة الصراع الحالي الى المحافظات الجنوبية، فان التبعات المحتملة جرّاء ذلك على أسواق النفط الدولية ستكون ذات ابعاد كارثية.

لقد ارتفع معدل انتاجنا النفطي قبل هذه الازمة بنسبة ٥٠% منذ عام ٢٠٠٥. وكنا نتوقع ان نرتقي الى مرتبة ثاني مصدر للطاقة في العالم بحلول عام ٢٠٣٠ وهو عامل مهم في الحفاظ على استقرار أسواق النفط العالمية بالرغم من العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران، وان هذا يمنح المجتمع الدولي مبررا اضافيا للمشاركة في دحر داعش والمحافظة على استقرار العراق.

ولكن لا تتوهموا: لا يمثل الصراع الجاري في العراق حالياً تهديداً للعراق وحسب. ذلك ان داعش، وما يمثله الإرهاب العالمي، يشكل تهديداً على كل المنطقة والعالم كله من دون شك.

ان مصلحة الولايات المتحدة تكمن في قلب الكفة ضد الإرهاب العالمي. مع ترحيبنا بقرار الرئيس أوباما بإرسال مستشارين في مكافحة الإرهاب الى العراق لدعم قواتنا المسلّحة. ولكن، واتحدث هنا كصديق ومؤيد للولايات المتحدة، يبدوا لي ان هناك المزيد من الخيارات التي ينبغي النظر فيها في هذه الأوقات الصعبة والحرجة:

أولا: ينبغي ان يتم توسيع التنسيق العراقي– الأمريكي في مجال مكافحة الإرهاب ليشمل توجيه ضربات جوية من شانها ان تحمي حدود العراق من تدفق المزيد من الإرهابيين القادمين من سوريا.

ثانيا: ينبغي ان يتم توفير دعم جوي يستهدف معسكرات الإرهابيين وقوافل امداداتهم في المناطق البعيدة والنائية.

ثالثاً: ولكي نتمكن من تنفيذ عمليات فعالة لمكافحة الإرهاب في حواضر المدن التي استولى عليها ارهابيو داعش، فإننا بحاجة الى دقة الضربات الجوية الامريكية.

ان الجهود التي اشرت تواً اليها ليست بالجديدة على الولايات المتحدة او العراق، فقد عملنا معاً سابقاً وقمنا بتنفيذ استراتيجية مشابه استهدفت هزيمة تنظيم القاعدة في العراق.

لقد اختار العراق الولايات المتحدة في هذه الأيام العصيبة لتكون شريكاً في تنفيذ هذه الاستراتيجية.

ان العلاقة التي تربط البلدين تنظمها اتفاقية الإطار الاستراتيجي، والتي لم نعقد مثلها مع أي بلد اخر.

ولقد انفقت حكومتنا أكثر من ١٠ مليارات دولار في شراء التجهيزات العسكرية الضرورية من الولايات المتحدة ونعتزم إنفاق مليارات أكثر في نفس المجال. واذكر هنا بان هذه الأموال عراقية خالصة.

بيد ان هناك غموض حول نوايا الولايات المتحدة في العراق، هناك البعض ممن يشك في استجابة الإدارة الامريكية للازمة. تريد الإدارة الامريكية منا ان نصدق بان الدعم الذي توفره لنا محدود، وتستخدم احتمال تقديم الدعم الجوي والدعم العسكري للتشجيع على القيام بإصلاحات سياسية في بغداد.

ومع هذا، لا بد لي من ان أقول لكم: لا يصدق جميع من في بغداد ذلك، كما ان هناك من يشكك بان الولايات المتحدة تتبع وبوعي حقيقي ستراتيجية تقديم دعم محدود، وبان نوايا واشنطن هي وضع شروط مسبقة يحتمل ان لا نتمكن من تحقيقها ومن ثم التلاعب بتلك الشروط لضمان ان لا نتمكن من تحقيقها.

ان هذه الشكوك مضرّة جداً بعلاقة الولايات المتحدة مع العراق وشعبه.

وإذا لم يعتقد العراقيون بان هناك مساعدات أمريكية حقيقة قادمة، فلن يتولد لديهم حافز كاف للعمل بالتعديلات السياسية التي تحث الولايات المتحدة عليها.

الإدارة الامريكية بحاجة الى تفنيد تلك الشكوك بتوضيح حقيقة انها ستقدم الى الحكومة المنتخبة ديمقراطياّ في العراق الدعم الجوي والاحتياجات العسكرية الضرورية الأخرى، والتي اسميها عوامل تغيير، والقادرة على قلب الكفة ضد داعش، هذا في حال أحرز قادة العراق السياسيين تقدما كبيراً في عملية تشكيل الحكومة الجديدة.

وباختصار، فان الشفافية ضرورية، وهي مهمة الان أكثر من أي وقت مضى، فالولايات المتحدة بحاجة الى ان تحذر من ارسال مؤشرات متضاربة حول نواياها، ذلك ان تلك الإشارات ستؤدي الى خلق فراغ سيملأه اخرون.

الوضع على الساحة يتطور بشكل سريع، وهو يهدد سلامة العراق مع امكانية حدوث تداعيات إقليمية. لقد تم الحديث كثيراً عن التأثيرات الإقليمية لامتداد الصراع من سوريا، لكن امتداد الصراع من العراق الى الدول المجاورة له في الأردن والسعودية وأماكن أخرى سينتج عنه تداعيات لا يحتمل التفكير بها. فلنتعامل جميعاً مع خطر داعش الان افضل من ان يفوت الأوان، بمساعدة الولايات المتحدة وحلفائها، يمكن التعاطي مع داعش ودمارها وفوضتها.

الوقت الان ليس في صالحنا ولا في صالح جيراننا ولا في صالح الولايات المتحدة، وان تأخير الدعم أكثر يصب في مصلحة الإرهابيين فقط، ولكن الاجراء الحاسم ضد الخطر المشترك الذي يداهمنا سيخدم مصالحنا المشتركة في الوصول الى عراق مستقر وامن، يناضل من اجل بناء ديمقراطية شاملة بعد عقود الطغيان والشقاق.

سيبقى العراق والولايات المتحدة مرتبطين مع بعضهما البعض الى الابد بسبب الأموال التي تم انفاقها والارواح التي ضحت على مدى العقد الماضي في القتال ضد الإرهاب والتطرف.

وفيما تسير العملية الديمقراطية في العراق الان باتجاه الحل المنشود، نأمل من حلفائنا الأمريكيين الاستمرار في المضي قدماً لتوفير حزمة المساعدات الهامّة التي نحتاج اليها.

معاً، فإننا قادرون على دحر الإرهاب العالمي، وهو عدونا المشترك، وبناء عراق آمن ومستقر، هو هدفنا المشترك.

شكراً للولايات المتحدة لكل ما حققناه سويةً ولكل ما يمكننا تحقيقه معاً.

إن احسنّا التصرف وبشكل حاسم في هذه اللحظة الحرجة، فسيقرأ أولادنا واحفادنا لاحقاً وعلى مدى سنوات عن الطغيان والإرهاب في كتب التاريخ، وعن السلام والرفاهية في صحفهم اليومية. هذا هو هدفنا، وانا على يقين بانه هدفكم ايضاً.

اسمحوا لي ان اشكر المجلس الأطلسي مرة أخرى على اتاحة هذه الفرصة.